

رسالة ملكية إلى المشاركين في الدورة الخريفية لأكاديمية المملكة المغربية المخصصة لموضوع «القدس: نقطة قطيعة أم مكان التقاء»

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة سامية إلى المشاركين في الدورة
الخريفية لعام 1998 لأكاديمية المملكة المغربية للمنعقدة بالرياض ما بين 26 و28
نوفمبر 1998، حول موضوع «القدس: نقطة قطيعة أم نقطة التقاء».

وفي ما يلي نص الرسالة الملكية التي تلاها السيد عبد الوهاب بن منصور،
مؤرخ المملكة خلال الجلسة الافتتاحية للدورة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه
حضرات السادة والسيدات،

يسعدنا أن نتوجه بخضابت هذا إلى أكاديمية المملكة المغربية في دورتها
الموسعة هاته التي يشترك فيها الاتحاد البرلماني العربي لمداومة موضوع
«القدس» معبرين بادئ ذي بد، عن ترحيبنا بالمشاركين في هذا الملتقى
الأكاديمي الهام حول موضوع يشغلنا ليس فقط بوصفنا رئيس لجنة القدس
ولكن أيضا بوصفنا أحد قادة الدول الإسلامية الذين يشغلهم جميعا مصر
هذه المدينة «المقدسة»، كما يشغل بال شعوبنا متطلعين إلى إنصاف الشعب
القدس الذي الشقيق بإقامة دولته المستقلة على أرضه المحررة وعاصمتها
القدس الشريف.

حضرات السادة،

إنكم لتعلمون بأن عقد هذا الملتقى الهام بمشاركة صفوة من الأساتذة

والمفكرين المرموقين وأعضاء الاتحاد البرلماني العربي المحترمين فهو من أحب المبادرات إلينا ونشهد لها حلة باهتمامنا وانشغالنا، الأمر الذي تجلّى في كون المغرب ظل متتدي لكثير من الملفات الدولية حول القدس التي عقدت بمبادرة من جلالتنا أو تحت رعايتها.

ولقد تقلدنا منذ سنة 1979 رئاسة لجنة القدس المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، فعملنا منذ نحو عشرين سنة على رأس هذه اللجنة لخدمة قضية القدس الشريف بإيمان واقتناع متتبعين خطى كفاح الشعب الفلسطيني الثابتة في سبيل تحرير أرضه وإقامة دولته المستقلة. وفي هذا السبق أصدرت لجنة القدس توصياتها وقراراتها المعروفة في توافق واتسجام مع القرارات الدولية الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي شجبت الاحتلال للقدس واستنكرت تغيير وضع المدينة ودعت إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات المتخذة لتهويديةها.

كما عملنا بموازاة ذلك على إحداث بيت مال القدس الذي أشرفنا بنفسنا على وضع كل آلياته القانونية والتنظيمية ليكون مؤسسة ساهرة على تحقيق ما رسم لها من أهداف غير مدخرين أي جهد في سبيل إشعار المجتمع الدولي بالمخاطر التي تتهدد القدس الشريف واصلين حبل الاتصال في هذا الشأن بيننا وبين قداسة البابا يوحنا بول الثاني، مؤكدين في كل مناسبة تسنح لنا بمناسبة انعقاد اجتماعات لجنة القدس أو في غيرها أن الحفاظ على هويتها هو قضية العالم الإسلامي والعالم المسيحي على حد سواء وأن التمهيد الذي يظال المؤسسات الإسلامية ويمزق أوصال الكيان الاجتماعي الإسلامي يظال بصورة أخرى الكيان المسيحي.

لذلك نعتبر أن تخصيص دورة أكاديمية لمطرحه الآراء حول هذا الموضوع بمشاركة أعضاء من الاتحاد البرلماني العربي فرصة للنظر إلى هذه

القضية من زوايا مختلفة لتعميق الوعي بها باعتبارها تتطلب المزيد من تنوير الرأي العام الدولي لكل وسائل الإعلام الممكنة وبكل أشكال التعبير والتبليغ المتاحة لإيقافه على جوانب هذه القضية التي لا تخص المسلمين وحدهم وإنما تهتم كل أتباع الديانات السماوية والمنشغلين بمصير التراث الإنساني والحضاري الذي تدخره القدس على مدى الخمسة آلاف سنة المتعصرة.

حضرات السادة،

إن هذا التاريخ المديد للقدس الذي يمثل التاريخ الإسلامي ويعد على الأقل إذا قرئ بموضوعية وتحجّر، قوته يوقفنا على أن هذه المدينة كانت بالفعل فضاء التقاء وتعايش بين الأديان والحضارات والشعوب انسامية وأنه لمن حقائق هذا التاريخ الذي كتب بلغات متعددة وموضوعية أن التعصب الديني والنزعة العدوانية للاستئثار بالهيمنة على المدينة لصانع طائفة دينية واحدة كانا مصدر الأزمات والنكبات التي منبت بها القدس. كما يشهد هذا التاريخ أن المسلمين وحدهم كانوا رمز التسامح واحترام أهل الكتاب والعمل بروح التحصيف. وعلى سبيل المثال فالمسلمون هم الذين رفعوا الحظر الذي كان مفروضاً من دولة بيزنطة على دخول اليهود إلى القدس طوال القرن السابع الميلادي. كما رفعوا نفس الحظر الذي كان مفروضاً عليهم خلال حكم الصليبيين لبيت المقدس على مدى القرن الحادي عشر الميلادي.

وهكذا سجل التاريخ أن المسلمين هم الذين قسحوا المجال أمام استيطان اليهود لبيت المقدس خلال القرنين المذكورين فضلاً عن أنهم آمنوا طرق الحج للنصارى إلى هذه المدينة وإن سلوك المسلمين هذا تجاه أهل الكتاب من نصارى ويهود ظل سلوكاً واحداً عبر العصور لأنه نابع من عقيدة الإسلام نفسها التي تعتمر الرسالات السماوية ديناً واحداً وإن تعددت

شرائعه. فالله تعالى يقول في محكم تنزيله: "كل من آمن بالله وعلانته
وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله".

وبهذا الإيمان الملزم ارتقى المسلمون إلى المستوى الرفيع في تحقيق
التسامح والاحترام لأهل الأديان الكتابية، هؤلاء الذين وجدوا في ظل الحكم
الإسلامي ما يدل فعلا على الالتزام. وإن خير دليل على هذا التسامح لهم
بقاء التعددية الدينية في القدس الشريف التي حكمها المسلمون على مدى
الأربعة عشر قرن. إذ لو اختار خلفاء المسلمين وأسراؤهم منذ البداية خطة
كالخطة التي اتبعها فرناندو وإيزابيلا في إسبانيا للقضاء على المسلمين
تهانيا ومحو آثارهم، أو كالخطة التي اتبعتها دول أوروبية أخرى ضد اليهود
في فترات من التاريخ الحديث، لما بقي في بيت المقدس أثر لكنيسة أو بيعة
أو مساكنة من اليهود والنصرى. ويقال نفس ذلك بالنسبة للبلاد الشرقية
التي حكمها المسلمون وكانت الطوائف المسيحية الاورثوذكسية تستوطنها
فطلت محتفظة بهويتها الى اليوم، وظل المسلمون يحرمونها من تعصب
الطوائف المسيحية الأخرى في فترات معروفة من تاريخ الصراع بين
الكنيستين.

وهذه حقيقة تاريخية لا تنيل المناقشة. والمؤرخون اليهود أنفسهم
يشهدون على أن ضوائفهم وجدوا في ظل الحكم الإسلامي الأمن والاحترام
الذين لم يجدوا لهما أثرا خارج البلاد الإسلامية على مدى عصور من
التاريخ حتى ان بعض هؤلاء المؤرخين أقروا بأن اليهود عاشوا سواسية مع
المسلمين في القدس الشريف ممنوعين بشبه استقلال ذاتي أو مشاركين في
مجالس الشورى أو موظفين في إدارات الدولة ودواوينها في فترات معينة
من التاريخ، بل أن هذا التاريخ يذكر أن من أمراء المسلمين من قام بإعادة
بناء بعض الكنائس بعد هدمها فضلا عن السماح ببناء أخرى في ظل الحكم

الاسلامي كما يذكر أن أحد وفود الامير/طور شارلمان إلى بيت المقدس قدم مفاتيح كنيسة القيامة والتبر 'المقدس' إلى المسلمين ثقة في التزامهم بصيانتها وتوفيرها وإن الخليفة هارون الرشيد سمح لهذا الامير/طور ببناء كنيسة العذراء بالمدينة. فلا غرابة إذن أن نجد النصارى واليهود يفوضون للمسلمين أحيانا رعاية معابدهم وصيانتها. فقد تولت إحدى الأسر المقدسية المسلمة خدمة مقام النبي دوواد منذ أوائل العهد العثماني كما يشهد بذلك أحد فرمانات السلطان سليمان القانوني.

حضرات السادة،

هكذا نجد التاريخ يشهد بنسب مختلفة على أن القدس في ظل التاريخ الإسلامي نضاء لاحترام الديانات السماوية وأهلها وقضاء لشقاقة وحضارة مشتركة. غير أن هذا القضاء قد عرف في عصرنا هذا تحولا جذريا بالدخول في منعطف تاريخي ينذر بواحدة من تلك التكتبات القديمة التي تجاهوزها التاريخ الإنساني المعاصر وأصبح الفكر الإنساني يمجها باعتبارها من مخلفات عصور مظلمة.

وإذا كان المغرب قد ضرب المثل على ذلكم التعايش والاحترام المتبادل بين أهل الأديان السماوية وأن ملوكه عبر العصور اعتبروا اليهود رعية لأمر المؤمنين يؤمن لهم ما يؤمن للمسلمين من أمن وكرامة، فإن السلطات الإسرائيلية عند احتلالها للقدس سنة 1967 قد قامت بنسف حي المغاربة وتسويته بالأرض بعد ثلاثة أيام من الاحتلال فقط، وهذا المثال لم نورد إلا على سبيل الإشارة إلى ما يمكنه المتطرفون من اليهود من بغضاء وتنكر للمقيم الدينية السماوية وكرمز أيضا إلى ما حدث لسكن القدس من المسلمين ويحدث لهم كل يوم جزء على تسامحهم ومراقفهم الأخلاقية للقدس الشريف بداية تحوير التاريخ المشرق بالنسبة لهذه المدينة من فضاء للنقاء

الأمن المطمئن بين الأديان والطوائف الى قضاء مشحون بالتوتر والمناخية بالعدوان. وعلى الرغم من هذه السياسة الإسرائيلية التي رهنّت حاضر القدس بالتهويد والاستيطان غير المشروع والاستهتار بالقرارات الدولية، فلا ينبغي لنا كقادة سياسيين أن نياس من العودة الى الحوار للوصول الى تحقيق سلام عادل ودائم تلتزم به جميع الأطراف المعنية ويسترجع الشعب الفلسطيني حقه المشروع في جعل القدس عاصمة لدولته المستقلة. فالتاريخ يعلمنا أن كل أشكال الهيمنة والغطرسة وإحلال منطق القوة محل منطق العدل والإنصاف تظل سهووزة متداعية للزوال بفعل النضال المشروع والكفاح المستميت في سبيل القضاء عليها، وإن النصر حليفها لا محالة إذ لا يصمد في النهاية أمام متغيرات التاريخ الا ما يقوم على المشروعية ويجمع الى السلام ويوتر التعايش الامن بين الطوائف والجماعات على العيش في خنادق المواجهة والصراع.

بهذا الأمل في استرجاع المشروعية والتطلع الى الإنصاف الذي ينبغي أن يهيمن علينا في كل لقاء، أدعوكم الى مناقشة موضوع هذه الدورة متطلعين الى تسليط المزيد من الأضواء على كل جوانبه واقتراح السبل الكفيلة بإحلال التواصل محل القطيعة والتوافق محل التخالف، معتقدين ان تعايشا حقيقيا بين ساكنة القدس ونشر ثقافة التسامح والحوار بينها بعد تخويل الشعب الفلسطيني كامل حقوقه المشروعة سيكفل لمدينة القدس مستقبلا آمنا تشترك في بناءه مواءم الجميع كما تحقق ذلك في الماضي.

وفي عالم مثل عالمنا الذي قويت فيه عوامل الصراع العرقي والثقافي بفعل الانثرة وتحكيم منطق القوة نجد أنفسنا أحوج ما نكون الى العقلانية والتسامح والتناصف وتعبئة النفوس بقضائل القيم الدينية السمحة. وإن على رجال الفكر والدين في كل مكان بالنسبة لكل الأديان السماوية أن

يطلعوا بمسؤولياتهم في هذا المجال معبثين وسائل الإعلام في التصنيدي
للثقافة العنصرية ولدعوات التطرف الديني التي يمثل بعض اليهود أشدها
شططا ويحلوا محلها ثقافة الحوار وتصحيح المفاهيم التي يشبعها الإعلام
المحاز لإسرائيل لأن الإعلام في عصرنا أول وسائل النضال والعمل
المشروع.

فهذه إحدى المهمات المنوطة برسالة الفكر الذي تمثلونه والتي ستعزز
على أفضل وجه ممكن عمل القادة السياسيين الذين يسعون كما نسعى إلى
إرساء دعائم السلم والمشروعية في القدس الشريف. وباعتبارها جزءا من
الضفة الغربية المحتلة، وإن هذا الاحتلال لا يؤسس أي حق في الهيمنة عليها
فضلا عن تهويدها والقضاء على هويتها العربية والإسلامية.
وفقكم الله ورعاكم وأنهننا وإياكم السداد في القول والعسل.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.